القسم الأول

obeikan.com

obeikan.com

في معنى الضمير

أو مغزى الاجتماع

الضمير في الإنجليزية [consciousness] وفي الألمانية [Bewusstsein] ، وهما أكثر دلالة على الوعي عمومًا ، ووعي الأنا تحديدًا. بينما يختلف المعنى العربي للضمير للدلالة على البعد الإنساني للفرد في علاقته بالآخر ، والذي يصل أحيانًا إلى حد تجاوز ذاته لخدمة الآخر ، أو وضعها في خدمته ومصلحته. فالضمير يتجاوز (الوعي الداخلي) إلى (الحس الأخلاقي) ، واعتباره معيارًا قيميًا لتعريف الأخلاق أو الحكم عليها.

المعنى العربي للضمير أكثر قُربًا وانسجامًا مع مفهوم التعاطف [compassion] المسيحي والذي يتضمن معاني التشجيع المعنوي النفسي والمساعدة الملموسة. وأقرب لمفهوم الضمير في رسائل بولس **[٢كو٤ : ٢]**.

معظم تعريفات الضمير الغربية استندت إلى القاعدة المادية لحضارة الغرب المعاصرة واتصالها بالعقل العلمي / الرأسمالي. وهو منظور تجاوز البعد الروحي واختزله في جُملة أنظمة ومؤسسات مادية. بمعنى أن القيم والأخلاق والدين أصبحت تابعة للمادة والمبدأ الرأسمالي الذي يشكِّل الغاية والإطار العام للحياة والحضارة الغربية.

فالحضارة الغربية تحددت واكتسبت هويتها المعاصرة ، من خلال الانقلاب الداخلي على الروح ، والقيم الأخلاقية الأفلاطونية الكلاسيكية والمحدثة سواء. وقد كان الفلاسفة أول من انتبه وأنذر من عواقبها الإنسانية المدمرة في كتاب (سقوط الحضارة) لـــ"كولن ولسن" ونداءات "سارتر" (عارنا في الجزائر).

فالأزمة الأخلاقية التي يتمخض بها الغرب تحت عناوين متباينة ، الأخلاق أو الهوية أو الدين أو سقوط الحضارة أو نهاية التاريخ ، تتمحور في جوهرها حول

الضمير بمفهومه الأصيل العربي والإنجيلي ، الذي يرفع القيم الروحية والأخلاقية السامية فوق المادة وفوق حدود الأنا.

الضمير بحسب بولس ليس أسمى نقطة في وجود الإنسان ، بل هو أكثر منه ، أسمى نقطة تقربنا من الله ، [**أننا ظاهرون أمام الله ، وأرجو أن نكون ظاهرين أيضًا في ضمائركم**]– (**٢كو٥ : ١١**).

حيث يرد الضمير دائمًا مقترنًا بلفظ الجلالة ، ومقابلا له على الأرض : [**إننا إذ رفضنا الأساليب الخفية المخجلة ، لا نسلك في المكر ، ولا نزور كلمة الله ، بل بإعلاننا للحق نعلن أنفسنا لدى ضمير كل إنسان**]– (**٢كو٤ : ٢**).

فهو يتجاوز هنا كل منظور مادي جسدي ، متساميًا بالإنسان إلى أسمى وأرقى تصور يحتمله العقل ، متجاوزًا حاجات الجسد والأرض ، مضحيًا بأغلى ما لديه، واضعًا ذاته في خدمة الآخر ، حسب قول الشاعر : الجود بالنفس أقصى غاية الجود !

دالة الضمير أنه القانون الأساسي الذي يقوم عليه الاجتماع البشري ، ولا مجتمع بشري حقيقي وكريم من غيره.

وما يعانيه الإنسان على مدى الزمن وفي كل مكان ، من آلام وأمراض وغربة واغتراب وإحباط ، إنما هو بكلمة واحدة ، جزء من نتائج غياب الضمير أو تزويره ومراوغته والزيغ عنه.

لقد نجح حكماء المجتمع القديم في اعتماد المعدل التكراري لبعض ممارسات البشر ، لاشتقاق جُملة من العادات والأعراف التي شكلت قواعد هيكلية لبناء الاجتماع البشري.

لكن هذه القواعد المشكلة لظواهر العائلة والقبيلة والدين والدولة والاقتصاد ، إنما كُتبت بالأسود والأبيض ، ولم تأخذ باحتمالات النسبية ، مما ترتب عليه تأرجح سلوك البشر بين نقطتين على غاية التطرف ، العُليا والسُفلى.

لقد دأب الإنسان أن يجهد وسعه، لمضاهاة المعايير القيمية المتوارثة، وبحسب مدياتها المطلقة. ومن أمثلتها : الكرم والثأر والظلم والكره والفخر والكبرياء والإزدراء والإيمان والكفر والثواب والعقاب والعلم والجهل وغيرها.

فليس في تلك المعايير نسب مئوية نصف أو ربع أو دون الربع والنصف أو فوقها بقليل أو كثير. وكان من شيم الأجداد السعي للتمايز واستحقاق الذكر السائر، مما حدا بهم للاجتهاد حتى المنتهى وحافة التطرف.

فالكريم يسرف في كرمه حتى يسير بذكره الركبان ؛ والظالم يسرف في ظلمه، حتى يكون دالة على الظلم، والكاذب المفتري يسرف ويبالغ حتى قيل أجمل الشعر أكذبه، وقس على ذلك.

يقول الباحث "جميل سعيد" إن العرب كانت تفتخر بالظلم والغلظة وتحتقر ما يخالفها. فإذا ظلمت ، أسرفت فيه ، وإذا قست بالغت ، حتى يسير الركبان بخبرها، ويخشى الجميع شوكتها وتعرف منعتها.

وتدخر كتب التراث أخبار تلك الأيام، وصيت كل قبيلة ودالة شهرتها. وهو ما ينطبق على نظرة قدماء المؤرخين للأمم والأقوام. فتميز بعضها بالشجاعة وغيرها بالجبن، وبعضها بالحكمة، وغيرها بالبلادة، بحسب الجنس أو العرق أو الجغرافيا.

منظار الأسود والأبيض، ومعيار التطرف والمبالغة في الكلام والسلوك، كانت وراء تجريد النظام من مغزاه ، ليصبح حاضنة للفوضى والاضطراب بدل الاستقرار والأمن.

فالتطرف ومجافاة الاعتدال ، هي الوجه الآخر لغياب/تغييب العقل والحكمة ، وتجاوز الضرورة واللزوم إلى السفاهة والضرر.

من تداعيات هذا الأمر ظهرت دعوات الاحتكام للتوسط والاعتدال ، فأخذ به جمهور النُخبة من العقلاء والحكماء ، وتمادى في المبالغة والتطرف العامة

والغوغاء.

وفي هاته المفارقة تظهر أهمية ودور الضمير الشخصي باعتباره الموجه والمقود في التمييز بين الافراط والقلة، والبخس من الثمين، والتحكم في القول والفعل، الحسن والقبيح.

ما من إنسان بغير ضمير، ومعيار تمايز شخص عن سواء ليس المال ولا الجاه ولا العلم أو سواها، وإنما يميز كل فرد ضميره، ومرآة الضمير هي الأقوال والأفعال الصادرة عنه. وليكن كل امرئ أمام ضميره اليوم، فيأمن سوء العاقبة.

obeikan.com

تعلم أو تعليم

احذر التعليم الذي يضلك عن طريق المعرفة !

سليمان الحكيم

لا مفر للفرد من العائلة. العائلة هي بيئة الفرد، ماؤه وهواؤه.

ولكن العائلة لا يجوز أن تكون مؤسسة عبودية. ونعرف جيدًا أن تربية العبيد غير تربية الأحرار والسادة. وظيفة العائلة إنتاج أفراد سادة وأحرار ، وليس إنتاج قطعان العبيد.

أدوات الأمر والنهي، هي الأساس لمناهج التربية الشرقية، والتي أنتجت على الدوام، ظاهرة النفاق والرياء الاجتماعي. فترى الفرد يتصرف بين ذويه كما يريدون منه، ويتصرف بعيدًا عنهم كما يريد هو.

ولكي يتمتع الفرد بالحرية، ويستمتع بوقته وماله، فأنه يختار مكانًا بعيدًا غريبًا عن مجتمعه وبلده، ليتخلص من سلطة الرقيب.

عدم امتلاك الفرد لشخصية واضحة مستقرة ناضجة هو نوع من العوق النفسي والاجتماعي اللازم للمعالجة والتصحيح.

النفاق الاجتماعي والكذب الأبيض والستر والتقية والفهلوة جزء من نظامنا الاجتماعي والسياسي ، وبالحصيلة ، الكل يكذب على الكل. والكذب الصغير مثل الكبير، والكذب الأبيض والأسود سيان. وعند الكذب، يكذب المرء. الكذب هو اخفاء الحقيقة وإعلان الزغل. إنه التستر والتواطؤ والمراوغة والشيطنة والشطارة والاستغباء والضحك على النفس والناس والهزء بهم والانتقاص من قيمة الحقيقة والبشر.

في مراكز التحقيقات يتم استخدام الضرب ووسائل التعذيب بسبب الكذب. فالمحقق يعرف أن المتهم يكذب ولا بد من وسيلة تجبره على قول الحق والتوقف عن الكذب. من حق المتهم أن يزعم أنه صادق ، وأنه لم يكذب منذ رأت عيناه النور ، ولكن كيف للمحقق أن يتأكد ويصدقه في مجتمع يسوغ الكذب ويعتبره شطارة وفهلوة.

من حق المتهم أن يكذب لكي ينجو من العقاب ، ولكن ليس من حقه تضليل القضاء والتحقيق وتجريم الأبرياء.

ولكي نتحرر من آفة الكذب والإدعاء والمبالغة والفخر الخاوي ، نحتاج إلى الشجاعة والحرية.

وعلى العائلة والمجتمع المحلي التحلي بالشجاعة والحرية في العلاقات والمعاملات ، فتطبع الطفل بما يرى ويلمس. الحرية والشجاعة ليستا درسًا تعليميًا وإنما ممارسة وحياة.

ليس بالأمر والنهي من التراث العبودي ، وإنما بالعلم والبصيرة ، وتبيان الخير من الشر ، والحسن من السوء ، والنافع من الضرر ، ومنح الفرد حق الحرية في القول والفعل في اتخاذ القرار والتعبير عن الرأي وقول الحقيقة مهما كانت.

علينا التمييز بين شخص يسيء ، وبين شخص يعترف أنه أساء.

ففي الحال الثانية نستطيع مساعدته للتخلص من الأسباب والظروف الدافعة للسوء.

بل أن كثيرًا من السوء سببه الخوف من الأوامر والنواهي الكثيرة والمعقدة. فيخطئ الفرد ويضعف في مواقف معينة ويرتكب الخطأ.

التلقين هو أسلوب التعليم الشائع ، والتلقين سلطة قهرية ، تتنافى مع جو الاكتشاف والسؤال والتفكير الحر للعثور على الصح أو استدراك الحقيقة.

وتكوين الفرد يبدأ من الطفولة... وأجواء طفولتنا حافلة بالأخطاء والجهل والرعب... ولا بد من تنظيفها وتهذيبها والارتقاء بها لتوفير أجواء صالحة لطفولة سليمة.

ولكن هل يمكن ذلك وأحد الوالدين ينقصه العلم والوعي اللازم والتهذيب.

كيف تصنع عائلة فاضلة والوالدان يتزوجان في سن المراهقة ، ولا يتوفران على كفاية من فهم الحياة والاجتماع والتربية ؟.

opeikan.com

في البدء كان المعنى

"لودفيج فيتجنشتاين" فيلسوف نمساوي وقف جهده لكشف الصلة بين اللفظة والمعنى. وبعد أن قضى وقتًا مديدًا بين قواعد المنطق وأصول الرياضيات، استوقفه حديث "أوغسطين" عن مراحل طفولته ومشاق التعلم الحثيث وما يتخلله من عناء وخزي، في طريقه لاستكناه مغزى حياة الإنسان (اعترافات أوغسطين)، عاد لمراقبة أو دراسة سلوك الأطفال الصغار في اكتساب المعرفة واللغة والعادات.

لقد كان أبرع اكتشافات فيتجنشتاين هو عدم جود صلة بين اللفظة والمعنى. وأن المعنى يتركب في ذهن الطفل المتعلم عند ربطه بين سماعه الصوت (اللفظة)، ومراقبته لحركات المتكلم وما يرتسم على ملامح وجهه من انفعال يفيد التوتر أو الانشراح، الفرح أو الحزن أو الخوف أو التعجب، وما يرافقها من حركات الأيدي واتجاه الأعين وردود أفعال المستمعين. ومع تكرار توارد تلك اللفظة وما يرافقها من حركات، تترسخ وتتأكد طبيعة الصلة بين اللفظ والمعنى المستوحى.

ثمة حالة قريبة من حالة الطفل، ربما عاشها كثير من المهاجرين والمقيمين في مجتمعات تتحدث لغة غريبة عنه، سيما في البدايات. فالشخص المغترب يصيخ السمع ويمعن مراقبة شخصية المتحدث لاستنباط المعنى من حركات الجسد وملامح الوجه، وربطها باللفظة المنطوقة التي لا يجيد معناها. وعند تكرار سماعه اللفظة، تستعيد ذاكرته حركات الشخص وملامحه وما استقاه من معنى أو تأويل. ويعتمد إتقان المعنى على عدد مرات التكرار وتشابه حركات الجسم والملامح المرافقة للفظ.

لكن أساليب التحدث ولغة الجسد والوجه تتفاوت من بلد إلى آخر ، ومن دائرة ثقافية إلى أخرى. ولعلَّ العرب أقل حفاوة بلغة الجسد عند الحديث. وباستثناء حالات الانفعال والتوتر والفرح ، لا يكاد صوت المتحدث يتموج أو يتغير بما يوحي بالمعنى.

فطرق تعلم الأطفال وسرعة التعلم ودقة المعاني تختلف من جماعة لأخرى ، ومن شخص لآخر. وفي سنوات الطفل الثلاثة أو الخمسة الأولى ، وهي مرحلة التعلم والاكتساب الأساسية ، تكون الأم ونساء البيت هم مجتمع الطفل الأول. بينما لا يكاد الأب أو رجال البيت يتداولون كثيرًا مع طفل يغمغم ولا يتكلم بوضوح.

هذه الظاهرة وأثرها على شخصية الطفل وعقليته ولغته ، تستحق مزيدًا من الدراسة والتمحيص والمقارنات مع بيئات مختلفة ، لتقييم طبيعة نظام اكتساب الطفل للغة والعادات في عوائلنا وتأثيرها على عقليته وشخصيته لاحقًا. فالنوعية والدقة وسرعة التعلم من المعايير المعتبرة في الدراسات التربوية الحديثة.

الموضوع من جهة أخرى ، لا يتعلق بلغة الطفل فحسب ، وإنما يتعلق باللغة عامة ، وبكل لغة بشرية بالتالي. انه يمتد إلى أول تلفظ لصوت الكلمة ، وأول مستمع لها ومدى إجادة المتحدث والمستمع لإتقان اللفظ والحركات والمراقبة.

هذا يبين مبلغ العناء والوقت الذي اقتضاه ولادة أول مفردة مقترنة بمعناها. ومدى بطء تجمع المفردات الأساسية لتشكيل اداة اتصال وتفاهم نسبية ، قبل اشتقاق مفردات وأصوات ومعاني جديدة من المفردات الأساسية. ولادة اللغة كألفاظ والتحاق المعنى والدلالة بها ، يبدو أكثر صعوبة من ولادة ونمو وتطور طفل الإنسان.

وإذا كان هذا حال المفردات الأساسية المتعلقة بالحاجات والسلوك، فكيف يكون أمر المفردات والمصطلحات المعنوية الأدبية والفلسفية ، والتي تعج بها القواميس والمعاجم المتخصصة.

ربما... لا أحد اليوم، ممن يتداولون اللغات، يخطر له التوقف والتفكير في جوانب الموضوع، كما خطر لفيتجن شتاين في بدايات القرن الماضي، لكن الضرورة تستدعي تأمل كثير من مفرداتنا اللغوية ومدى علاقتها بالمعاني المتصلة بها ومدى دقتها.

وهل نتكلم نحن بدقة ونعني ما نقول، في شعورنا وسلوكنا؟...

- ماهية الإنسان... !

جميعنا يعتقد أنه يعرف الإنسان...

معرفتنا بالإنسان تعود إلى تلك البينات الأولية المكتسبة منذ الطفولة عن ذلك الكائن الناطق المتحرك على قدمين والأليف القادر على التواصل الإيجابي مع محيطه. وبحسب تلك الصورة التقليدية، يشعر أحدنا بالفخر لكونه إنسانا.

لكن هذه الصورة صارت تقليدية جدًا اليوم، ولا تساعدنا في فهم النسخ الجديدة الرائجة من الإنسان.

بل هي تزداد رواجًا ، بحيث دفعت كثيرين من أتباع الصورة التقليدية لاستعارة الطبعة الجديدة، وبشكل جعل التقليديين أقلية مهددة بالانقراض.

الصورة الرائجة في وسائل الإعلام والصور المتحركة ، أفلام الكارتون والألعاب الإلكترونية تختلف عن المخزون في ذاكرتنا قليلاً أو كثيرًا.

في البدء اعتقدنا أنها مسألة (فكشن) ومادة إثارة، لكن الصورة خرجت عن إطار الفكشن والتلفاز إلى مضمار الواقع.

العجز عن التطور والتجديد أنتج موضة من العبث والتمرد وتشويه التقليد.
الإحساس بالعدمية دفع للتعويض بالقدرة على استثارة الآخرين.
فكرة استثارة الاخرين صارت معيار النجاح الاجتماعي الذي صار تفسيره القدرة على تكوين علاقات مع آخرين.

يقارن أحد الأبحاث في هذا المجال بين شخصين : أحدهما شخص مظهره عادي بثياب لائقة، يدخل المقهى أو البار بهدوء ويجلس إلى طاولة ما بتهذيب. والثاني شخص مشط شعره بشكل مقزز، ملوناً بعض شعرات في مقدمة الرأس بلون أزرق أو بنفسجي ويرتدي بنطالاً ضيقًا وسترة كبيرة وقد ربط أزراره بشكل غير متناظر، يقف على عتبة المقهى ويطلق صرخة نابية أو ضحكة مقززة... إن الجالسين في المكان سيلتفتون مباشرة للشخص الثاني، قد يستاء بعضهم، ولكن البعض الآخر سوف يبتسم ويتقبل الموقف. والمحتمل أن يجد أكثر من شخص يدعوه للجلوس ومشاركته الطاولة والحديث.

الشخص الثاني، أكثر نجاحًا من الأول في اكتساب العلاقات وإثارة المجتمع. أما الشخص الأول، والذي قد يكون من زبائن المحل لعشرات السنين، فقد يموت ولا يعرفه غير النادل، وربما شخص أو اثنين على شاكلته.

في قصة لكاتب نمساوي، مثال للشخص الأول. شخص وحيد منطوٍ على نفسه، فجأة تبدأ الرسائل تنهال عليه، بشكل يزعج ساعي البريد ويثير شكوكه، حول سر التغير المفاجئ، وظهور معارف كثر لشخص وحيد لم يكن له صديق منذ نزل في العنوان. المفارقة التي ستكشف، بعد موت الرجل، أنه هو الذي كان يكتب الرسائل لنفسه، بأسماء مستعارة لأصدقاء وهميين، ليدخل شيئًا من التغيير على حياته.

الوحدة والكآبة، من العوارض الاجتماعية المترتبة على طبيعة الحياة في المجتمع الرأسمالي، وذلك على حساب العائلة والعلاقات والتقاليد الاجتماعية المتعارفة.

تسلط المادة على خناق الحياة وتأرجح الإنسان بين العمل وفواتير الدفع وارتفاع الأسعار والضرائب، لم يترك له هامشًا لائقًا من الفائض المالي لتدبير تكاليف العائلة والمتطلبات الاجتماعية، مما جعله منزويًا ومعتكفًا عن الزواج والعلاقات بما يحفظ بقية مرتبه ووقته لحالات المرض والطوارئ.

في وقت لاحق، صار على الزوجة أو شريكة الحياة أن تكون مستقلة ماديًا بنفقاتها وتساهم في مصروفات البيت والفواتير. فالثورة الصناعية والرأسمالية غيرت مفاهيم العائلة والأطفال، وقوضت قواعد الاجتماع البشري إلى نوع من القنانة الصناعية الاستهلاكية المجردة من العواطف والمشاعر والاهتمامًات الإنسانية العامة.

بعد أكثر من قرن ونصف على التحول الرأسمالي العبودي، وتقوض مفاهيم العائلة والرعاية الاجتماعية، فإن تاريخ الفرد الأوربي المعاصر قد اختلف تمامًا. ولم يعد من السهل مقارنته بطراز أو سياق عادي.

والأبحاث الاجتماعية والنفسية في النظام الرأسمالي مسخرة بالكامل للرؤية الرأسمالية للحياة والإنتاج.

[منتج (أو) مستهلك]... هي وظيفة الإنسان المعاصر. وبغير حلقتي الإنتاج والاستهلاك تتوقف عجلة التراكم الرأسمالي.

ومجتمعات العالم الثالث العاجزة عن الإنتاج تمَّ تحويلها إجباريًا إلى مجتمعات استهلاكية بامتياز وبمعدل عال، سواء في مجال السلع الاستهلاكية الأساسية وغير الأساسية، أو جداول الإنفاق العسكري الجنونية التي تشكِّل المجال الأضمن للاستهلاك ودعم عجلة السوق الرأسمالية، بينما تزداد مديونية المجتمعات الاستهلاكية ويتراكم عجزها المستديم.

•

الإنسان ليس كائنًا مفردًا، هو كائن اجتماعي.

مبدأ الاجتماع، من خلال مفهوم الآخر، كان الخطر المهدد والمنافس لكيان الفرد.

لمواجهة هذا التهديد وتنظيم العلاقات، وُلِد نظام العائلة والعائلة الكبيرة، المجتمع المحلي والوطني، ليشكِّل سياجًا دفاعيًا ومعيارًا تنظيميًا للعلاقات والحدود بين الأفراد والمجتمعات. واليوم تتعرض الحدود البلدانية والوطنية والمحلية والعائلية للتهميش والتقويض، ليقف الفرد عاريًا أمام عجلة الماكينة الرأسمالية : الوطواط أو الفك المفترس.

أحد الانتقادات الجوهرية لنظام العقود والاتفاقيات هي عدم تساوي طرفي العقد من الناحية القانونية والمالية والسياسية. وفي النظام الرأسمالي ؛ حيث تسيطر الشركات والمؤسسات على كل جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية -حلت محل الدولة-.

وللحصول على عمل أو شراء جهاز تلفون أو استئجار نزل، أو تقديم شكوى، فإن التعامل يتم مع مندوب شركة أو ممثل مؤسسة أو دائرة قانونية، هي التي تمسك بناصية المعاملة ولها مسودة العقد، والمسؤولة عن صياغة بنود العقد وشروط الاتفاق، بينما الفرد مجرد عارض طارئ - عريان من غير ظهر -، ليس له غير خيار القبول والمساومة أو الرفض والخسارة.

وبحسب اللوائح القانونية وقواعد تسجيل الشركات والجمعيات، تحصل المؤسسات على دعم رسمي منتظم، وهي الأكثر مقدرة وأهلية، عبر دوائرها الفنية والقانونية المختصة بالتعاطي وإقناع دوائر الدولة المعنية حول الأمر.

فيما يعاني الفرد عدة معوقات وحواجز للعناية بطلبه.

فالعامل إزاء الشركة ؛ الزبون إزاء شركة التأمين، المريض إزاء مؤسسة التأمين الصحي، وهكذا إزاء جُملة واجهات الحياة والعالم، المشخصنة في

صور شركات ومؤسسات رسمية وشبه رسمية لها تسجيل قانوني وكادر قانوني ونفوذ مالي، وحماية دستورية وطنية ودولية، هو الإنسان الفرد وحيد عار، إن لم يكن رجل أعمال له نفوذ مالي وحماية قانونية وشخصية اعتبارية يحميها الدستور، أو يكن محميًا مكفولاً من حزب أو مؤسسة رسمية أو عائلة متنفذة.

أي وكيل إعلاني، أو مندوب شركة التلفزة، له حق مكفول قانونًا أن يطرق بابك في أي وقت ويطلب الإطلاع على رخصة التلفاز أو يفرض عليك غرامة باهظة فورية عند الممانعة، أو سوقك للمحكمة واتهامك بشتمه أو ضربه أو منعه من ممارسة عمله، وكل ذلك في ظل دولة القانون والديمقراطية.

لكن الشر الأعظم -مهما عظم !-، ليس في المبادئ والبنود القانونية، وإنما في الأشخاص الذين يتداولونها، وبشكل مبالغ لتسخيرها لمكاسبهم وأطماعهم والتغطية على امراضهم الاجتماعية والنفسية والخلقية.

فعندما يتجرد الفرد من خاصة الإنسانية التي تجمعه بأخيه الإنسان وبالطبيعة السوية، يتحول نفسه إلى مفترس لحوم بشرية، وكائن متوحش تحت جلدة خروف أو ستار القانون والدين، لخدمة آفة الطمع والانتقام.

ومن المؤسف، أن المجتمع الرأسمالي، والمتوسع إمبرياليًا في القارات المختلفة يقوم على مافيات -التعبير الأكثر دقة عن المؤسسات-. بحيث أن بعض دوائر الدولة أو المحامين لا يجازفون بتحدي الشركات والمؤسسات أو المافيات الرأسمالية العابرة للحدود.

وعندما تجتمع مافيات الاقتصاد والسياسة والدين تحت قبعة واحدة، يفقد المرء المستقل كل حقوقه وامتيازاته التقليدية، ويتحول القانون إلى حبر يابس على ورق فوق الرفوف، ليس له غير الخضوع والاستكانة لاستمرار حياته، أو الهجرة والتمرد.

السلطة التي بدأت في يد الملك أو الإمبراطور، وجدت مصلحتها في التحالف

مع رأس المال الاقتصادي والمؤسسة الدينية، وحبك الخيوط والحبال حول عنق الفرد، بحيث لا يترك له خيار للحياة غير الاستكانة للثالوث المفترس.

•

ليس الإنسان وحشًا، ولا شريرًا ولا مجرمًا... وإنما ظروف البيئة هي التي تدفعه لرد فعل معين، يناسب ويواجه الفعل المسلط عليه.

وعندما يكون الفرد وحيدًا، مجرَّدًا من الحماية الاجتماعية ودعم القانون والدولة فإن ردود أفعاله ستزداد قسوة وفظاظة. فالطفل اليتيم، وابن البيئة الجافة، أكثر فظاظة من الطفل الناشئ في أحضان دفء عائلي ومجتمع رخاء مستقر.

وقد حرص ثالوث السلطة على تقويض كل قواعد المجتمع الطبيعي والمتطلبات الإنسانية الملائمة ، وإشاعة عوامل الاضطراب وعدم الاستقرار ونقص متطلبات المعيشة والأمن والنظام -في غير ما بلد-، بشكل يوفر له كل دوافع التمرد والعنف والخروج عن السلوك الطبيعي اللائق.

وبه تحقق المافيا كل أغراضها، فمن جهة، جعلت الفرد ضعيفًا مهزوزًا، ومن جهة هو متمرد فوضوي خارج على القانون، ويستحق بحسب اللوائح العقوبة المناسبة، ومن جهة ثالثة، يمكن شموله بالرعاية النفسية والاجتماعية وإعادة ترويضه واستخدامه لخدمة المافيا.

القرن الجديد هو قرن التظاهر والاعتراض على الدولة وفساد مؤسساتها وأشخاصها وتحالفاتها الداخلية والخارجية ضد الإنسان وحقوقه الإنسانية. وسوف تتسع رقعة المظاهرات وتنتشر في أوربا وأقصى آسيا وكل القارات... مع الزمن !

أوربا هي الأكثر رعبًا من مثل هذه المظاهرات والاحتجاجات عند حصولها في بلدان أوربا الغربية والولايات المتحدة كمليونيات شعبية كاسحة كما حصل في مصر.

لكن قوانين التظاهر والاحتجاج الديمقراطية الأوربية لا تسمح بأي شكل من أشكال التظاهر والإضراب والاعتصام بغير أذن من الجهات المعنية وموافقة ومرافقة قوة كافية من البوليس. وتقتضي الموافقة تقديم طلب كامل يتضمن أسباب وأهداف التظاهر وأسماء القادة المسؤولين والجهة السياسية وراءه وحجم المشاركين في المظاهرة، وبشكل يضمن حركة التظاهر والمطالب في إطار القانون وعدم تهديد النظام. وبحيث يتم توفير قوة عسكرية كافية ترافق المتظاهرين من البداية حتى النهاية ، وتسجيل كل الممارسات والخروقات وتقديمها للمراقبة والمعالجة القانونية.

المجتمعات الأوربية تحكمها أحزاب سلطوية - مافوية - متحكمة بقطاعات الاقتصاد ومدعومة بقوة البوليس الأكثر من الجيش في بلدان العالم الأخرى.

لكن معدل القهر والاضطهاد الذي يعانيه الفرد الأوربي ليس أقل من نظيره الأسيوي. وهناك ارتفاع خطير في معدلات الفساد والجريمة والانتحار والانفصال في الغرب، بشكل لا يمكن أن يستمر طويلاً.

لقد كشفت العولمة ، خلال أقل من ربع قرن ، مبلغ بشاعة العالم. لكنها في الواقع بشاعة الرأسمالية والحلف الأسود بين السلطات الثلاث.

والتظاهرات والاحتجاجات المتزايدة، صرخة حق للعودة بالإنسان والحياة إلى طبيعتها الإنسانية بعيدًا عن اللهاث الأعمى وراء المادة وتسليع الحياة.

في معركة الحاضر ، يتحمل الأكاديميون والعلماء مسؤولية التزوير وتضليل الرأي العام ، كمؤسسات فقدت شرعيتها ومصداقيتها ، من أجل خدمة السلطة ورأس المال.

إنهم الآن ساكتون ، متأملون تبخر الحماسة ، ومدى مقدرة الحلف الأسود على تفريغ الشعارات وترويض الجماهير وإعادتهم إلى خنوعهم. ولكن...

العائلة الفاضلة

أساس الفرد والمجتمع الفاضل

الإنسان يولد من امرأة، لا ينمو بذاته من بذرة في الأرض أو على سفح تلة. وعقب ولادته يرضع من ثدي امرأة وينمو في حضنها. وفي رضاعتها ورعايتها له ، فهي تتعامل معه وتكلمه وتناغيه وتبثه بعض مشاعرها ولواعجها. والطفل يشعر ويراقب ويستمع ما يصدر عن الأم، ويخزنه في شرائط لاوعيه الكامن، لكي يستطيع استخدامها عندما يكبر.

ويقول بعض العلماء اليوم ، إن الجنين وهو في رحم أمه ، يفرح ويحزن ، وينفعل لكل انفعالات ومشاعر الأم، ويستمع لما يصدر من أصوات تصله من الخارج. مما يعني أن علاقة الطفل بالعالم تبدأ في وقت مبكر جدًا ، وتسمى علاقة الطفل بالعالم بالاكتساب. فهو يكتسب كل ما يسمع ويرى ويلمس ، ويختزنه في ذاكرته.

بل أن كل ما يدور في محيط الطفل يلتقطه ويحفظه رغمًا عنه بشكل لا إرادي في لا وعيه الباطن. وتبقى تلك المعلومات هناك جاهزة للاستعمال والوثوب – في الوقت المناسب –، في سلوك الطفل وشخصيته وتفكيره ومزاجه وحديثه.

غالبًا ما ينتبه الأقارب إلى طريقة مشي الطفل أو طريقة حديثه ، أو حركة عينيه وملامح وجهه أو ضحكته ، ويصرخون مدهوشين ، أنه يقلد فلانًا. لكن الطفل غير الواعي لا يعرف ما هو التقليد ، وإنما يترجم المعلومات والإشارات المخزونة في حافظته.

وقد لا تظهر تلك الآثار في وقت مبكر ، وتتأخر إلى مراحل متقدمة من نموه. في العموم ، تتغير شخصية الطفل تبعًا لنموه ، وتبعًا لاستدراكه لقاعدة البيانات المحفوظة عنده.

ولا غرو ، أن الطفل النامي في محيط نسوي ، تنعكس ملامح الأنوثة في أحد مراحل شخصيته ، كما هو العكس تمامًا.

وفي مجتمعات الغرب التي تشيع فيها ظاهرة "السنغل مام" ، زادت في العقود الأخيرة ظاهرة الخناثة أو الميول الجنسية المعاكسة عند الأطفال.

ويشيع بين المحللين الاجتماعيين والنفسيين القول أنها ميول طبيعية لعدم اكتمال التمايز الجنسي فسيولوجيًا. والصحيح أنها انعكاس طبيعة المحيط الاجتماعي على الأطفال. ويلحظ بالمقابل ظاهرة الصبية والاسترجال عند الإناث ، وهم الفريق المقابل ، أي بنات "السنغل داد".

ظاهرة السلوك الجنسي المنحرف أو المثلي ، لها جذور قديمة في مجتمعات الغرب ، تعود إلى أيام الإغريق والرومان وبيزنطة ، التي كانت تعتمد في الغالب على تجنيد الرجال في الحرب لسنوات طويلة ، يُمنع خلالها المقاتل من الزواج حتى تنتهي مدة عقد الجندية البالغة ربع قرن. بعدها يمكنه الزواج وتأسيس عائلة.

لكن البعض يراوغ القانون ، ويتخذ له عشيقة أو زوجة سرًا. فينشأ الطفل في غياب الأب وفي محيط عائلي يكاد ينعدم فيه الرجال ، مما يترك أثره في طبيعة الشخصية وسلوكها لاحقًا.

وقد وجدت الظاهرة قبولاً لديهم لشيوعها ، واستنادًا لمبدأ التسامح أو الانفتاح الأخلاقي عندهم. والأفضل بطبيعة الحال الحرص على التوازن الأسري الطبيعي ، وصيانة قوام العائلة من الطرفين.

وما من مبرر أخلاقي لسلوك انتهازي براغماتي داخل العائلة ، واستخدامها جسرًا مؤقتًا لتحقيق مكاسب وقتية محددة ، دون اعتبار أضرارها على الآخرين.

وما يزال المجتمع الغربي ، البريطاني تحديدًا ، يشجع ظاهرة عوائل السنغل ،

وتبيح قوانينه الجديدة ، ليس زواج المثليين ، وإنما حقهم في تبني أطفال وتنشئتهم، نشأة منحرفة السلوك والتكوين النفسي للطفل.

العائلة المتماسكة دعامة نفسية وأخلاقية ضرورية لنشأة فرد سليم. والعائلة المعلولة أو فاقدة أحد أركانها ، تنتج أفرادًا معلولين ضعفاء التكوين النفسي أو الأخلاقي.

وكما يتم على الدوام التأكيد على ضرورة توفير رعاية كافية للأرامل والأيتام ، فإن التعويض الاجتماعي النفسي والمالي لفقدان أحد الأبوين ، ينبغي أن لا ينعكس سلبًا على نفسية الطفل وشخصيته.

نسبة الانحراف الأخلاقي والنفسي والجنسي في مجتمع هو دالة انهيار وتردي ، ولا يجوز التغافل عنه أو تسويغه كحالة طبيعية كما في المجتمع الرأسمالي.

فمن الأضرار الفادحة المنعكسة في مجتمعاتنا – لبنان والعراق وسوريا – هي الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية للحروب على العائلة والفرد ، مما أنتج مجتمعات مهلهلة من كل النواحي ، ليس اجتماعيًا وخُلقيًا ، وإنما سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا أيضًا. فلبنان والعراق وسوريا ما بعد الحروب ، بعيدة كل البعد عما كانت عليه قبل الحروب. وهي حالات لا تسرُّ الأصدقاء !.

العائلة ككيان قائم على التعاون والتضحية ، وليس صفقة اقتصادية مالية أو سياسية.

دخول الميكافيللية والانتهازية في رباط العائلة هو شرٌّ محيق بالفرد والمجتمع من بعد. وهو من تبعات تردي القيم والسلوك الفردي. قد يستطيع فرد إتباع سلوك معين لتحقيق مكاسب سريعة/وفق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة !. لكن الفرد الطماع ، عليه أن يدرك أن لسلوكه عواقب ومترتبات موجية مستمرة ، سوف تنعكس عليه سواء آنيًا ، ومستقبليًا ، وسيكون هو نفسه مسؤولاً عنها ، ومشاركًا في تدمير الحياة والإنسان والعالم ، بطمعه وشرهه وغبائه.

لا شك أن كلاً منا يرى أطفالاً... نساءً... يعانون من نكد الحياة، وهم أبرياء... ثمة صورة إنسانية ممزقة تواجهنا.

من الكتب التي تربينا على قرائتها كتاب جبران (الأجنحة المنكسرة) وكتاب طه حسين (المعذبون في الارض).

نعم هؤلاء لم يخطئوا. لكن ذويهم أخطأوا. أو أخطاء سابقيهم، انعكس عليهم. الشخص الشرير يستطيع التسلل والنجاة من العقوبة، لكنه لا يبالي عندما يسقط جزاء العقوبة على شخص سواه بريء.

ليس كل الذين يدخلون السجون أو يُحكمُ عليهم بالموت، مجرمين وقتلة. لكن اللصوص والقتلة نجحوا في الفرار، وتركوا العقوبة تسقط على سواهم. هذه المفارقة أو المبادلة، على أرض الواقع، تحصل في سياق الطبيعة أيضًا.

إن كيان الفرد يقوم على العمل والإبداع والاجتهاد والتجديد، وليس على السرقة والقرصنة. ولابد -آجلاً، أو عاجلاً- أن تقوم المجتمعات المتضررة بالحروب والاضطرابات العسكرية والسياسية، تقوم بانتفاضة شعبية وثورة ثقافية، لتصحيح القواعد وتنظيف الأُطر والكيانات من أسباب الفساد ومتعلقاته.

ومن غير التطهير الاقتصادي والاجتماعي الناجز في أركان المجتمع والاقتصاد والدولة، سوف يستمر غياب النُخب المجتمعية الجديرة.

وتستمر الطبقات الجديدة التي أنتجتها الحروب والصراعات في التحكم في السياسة والاقتصاد والمجتمع والدين، وفي ذلك القضاء المبرم على المستقبل.

العائلة الفاشلة

- أول لقاء بين شخصين انتهى بالخديعة والسقوط.
- أول جريمة على الأرض كانت داخل العائلة، وبين أخوين.

هاته الإشارات البسيطة تضمنتها قصة التكوين التوراتية والأساسية في الديانات الثلاثة الرئيسية في الشرق الأوسط.

أكثر منه، يقول النص : (يترك الرجل بيت أبيه ويلتحق بزوجته !)...

وفي تطبيق النص، يترك آدم المنزل السماوي ويلتحق بالمنزل الأرضي.

فالزوجة، الأنثى، لها دلالة الأرض ومتطلباتها وطبيعتها الوقتية الزائلة.

والإنسان، الكائن الاجتماعي الذي لا يعيش بمفرده، هو قرين الأرض والتراب والأغبرة والرغبات العابرة.

يمكن لنا الاحتجاج وتفنيد النص، ولكن علينا دعم الاحتجاج بالواقع والبينة الأرضية. والمؤسف أن لا نستطيع الارتفاع بواقعنا والارتقاء بأنفسنا إلى مستوى الحلم والنظرية، وأن يبقى الجنس البشري يراوح في مكانه، بل يتراجع دونيًا مع الأيام. فالحياة السلوكية ومضمار الرغبات والمشاعر والأفكار والأفعال في تدهور وانحدار...

الطمع والحسد والغيرة، ثلاث آفات مركزية قرينة وعي الذات، قرينة تدمير الذات أيضًا.

وظيفة الأخلاق والمعرفة والحكمة والعلم والفلسفة والفكر هي واحدة، توعية الإنسان للتمييز بين الخير والشر، بين الحسن والقبيح، بين ما يرفع وما يحط ويرذل. وفي القرن الواحد والعشرين تقدمت العلوم والمعارف وتطور الوعي والإدراك، وسقطت الأخلاق والقيم.

إنسان اليوم يعيش في المجتمع، ولكنه يفكِّر في نفسه فقط، يفكِّر في خدمة نفسه على حساب حياة الآخرين.

معيار نجاح الفرد هو حذقه في سرقة الاخرين.

الذكاء الاجتماعي يتحدد بمقدرة المرء على خداع المقابل وسرقة ما بجيبه.

- من أين يبدأ الشر؟

المدرسة الرأسمالية تعتبر الشر في أصل الإنسان.
والمدرسة الإنسانية تنسب الشر لأساليب التربية الخاطئة والمنحرفة في العائلة والمحيط الاجتماعي.

الإنسان يحب التقليد والاحتذاء. وعندما يكون الأب أو الخال في العائلة ، والمعلم في المدرسة والبطل في المجتمع والتراث شخصية إنسانية حكيمة ، يسعى الفرد في الظروف الطبيعية لاحتذائه ؛ والعكس بالعكس.

عندما كنا في طفولتنا نقرأ كتب التاريخ والتراث والوطنية ، ننظر إلى رموز التاريخ والوطن كأنهم ملائكة يجمعون بين البطولة والبر والتقوى.

وفي حياتنا السياسية والاجتماعية كانت بعض الجماعات الأيديولوجية تقدم صورة مشوهة عن التاريخ والوطنية ونظام الحكم.

ومع حركة الزمن ، انتصرت الدعاية السياسية الدخيلة على مصادر الثقافة الوطنية ، وصارت السلعة الأجنبية أفضل مكانة وأعلى اعتبارًا من السلعة الوطنية، والشخص الأجنبي أفضل من أبناء الوطن، واتسعت الشقة بين الفوقية الدخيلة والدونية المحلية ، وفي النتيجة فقدنا احترامنا لأنفسنا ، وفقد الوطن والشعب اعتباره لدينا.

فالمنافسة الثقافية ، الاجتماعية ، الاقتصادية ، والحرب الباردة ، والمفاخرة بين الفرد وجاره ، وبين المظهر والجوهر ، هي دأب المرء... بدل بناء الذات

وتطوير الواقع ، وتنمية محيطنا الاجتماعي ، بدلاً من السخرية والاستياء والهروب منه.

نحن ننظر للآخر ، نطمع فيه ، نحسده ونغار منه ، فنلاحقه ونسرقه ، ولا نتركه إلا بعد إفقاره وخراب معيشته. بينما كان أولى بنا التعلم منه بما ينفع حياتنا ويبني واقعنا بما يقربنا منه ويجعلنا نتعاون ونتكامل معه ، ونضيق المسافة بين الشرق والغرب.

لقد انحدر مفهوم العائلة خلال العقود الأخيرة بشكل مريع ، وعلى كل مستوى.

وبالمقابل انقطع المجتمع عن تقديم نُخب علمية وثقافية وسياسية كما كانت الحال قبيل نصف قرن. مجتمعاتنا اليوم بلا نخب ولا قدوات ولا نجاحات معتبرة. رغم كثرة المهاجرين والدارسين في الغرب ، وفي أرقى جامعاته وبلدانه ، كما يقال.

ما نزال نقتات ونوقر ونقتدي بأدبائنا ومفكرينا ورموزنا السياسية قبل قرن حتى نصف قرن. وفي الواقع الثقافي توقفت حركة التجديد والريادة الأدبية. ومع تضخم أعداد الجامعات وكوادرها ، تضاعف التخلف الاجتماعي والانحطاط الأخلاقي وغاب وازع الخجل والحرج.

صارت لدينا ديمقراطية وبرلمانات وازدادت المشاركة النسوية في الحياة النيابية ، ولكن المرأة النائبة تجلس ملتفة بالعباءة والأغطية وعاجزة عن تحرير جسدها من سطوة التقاليد البالية ، وتريد أن تطور المجتمع وتحرِّر سواها من التخلف والفساد.

أشياء أدنى إلى صور الكاريكاتير ، ومستقبل في رداء/رداءة الماضي.

العامل الأول في تهديد وتقويض التنمية الاجتماعية والعمرانية لحكومات ما بعد الحرب العالمية الثانية في البلدان العربية ؛ كان الانفجار السكاني ، والنمو المضاعف لحجم السكان. وما من نظام في كل العالم ، يستطيع استيعاب حاجات

سكانية تنمو بشكل مضاعف، وثم يجري اتهام الحكومة وتسقيط النظام بحجة عدم تلبية حاجات السكان.

ففي حين كانت حكومات العالم الثالث تحث خُطاها لبناء نهضة عمرانية اجتماعية، كانت مجتمعاتها تنمو بمعدل مضاعف.

وأي دراسة إحصائية لحجم السكان العالمي أو البلداني بين الخمسينيات والثمانينيات يكتشف النمو المضاعف في حجم السكان، مقابل تراجع معدل النمو الاجتماعي الأوربي عمومًا. مما زاد في حجم العبء الاقتصادي والعمراني على بلدان العالم الثالث.

ويشترك عاملان في زيادة حجم السكان، أولهما تحسن مستويات المعيشة والرعاية الصحية، يقابلها الوعي الديني الجديد لزيادة الإنجاب وتعدد الزوجات.

وفي بلد مثل مصر، حاولت حكومة السادات تطبيق قواعد تنظيم الأسرة بالتكامل مع الرعاية الصحية، وأنشئت هيئة عليا لها بإشراف جيهان السادات، لقيت معارضة شديدة من التيار الإسلامي وانتهت باغتيال السادات.

وطيلة عهد خلفه مبارك كان المصريون يزدادون بحجم مليون وربع نسمة سنويا. فتفاقمت أزمة السكن وانتشرت العشوائيات، وعجزت البنى التحتية عن تلبية النمو في الخدمات البلدية وفرص العمل ومواد المعيشة.

في المثال العراقي يدخل سباق المكونات العرقية والطائفية للفوز بالأغلبية مجال التنافس الإنجابي سواء في زيادة العمر الإنجابي للمرأة الواحدة أو تعدد الزيجات.

ويذكر أن الحكومة العراقية في سبعينيات القرن الماضي، أصدرت جُملة قرارات اجتماعية منها قانون الأحوال الشخصية الذي يحدد سن الزواج ويمنع الزواج بثانية إلا بموافقة الزوجة الأولى إلى جانب تحسين حقوق المرأة ودخولها مجالات العمل المختلفة.

ومثل كل قرار أو قانون مدني يخدم تطور البلاد والمجتمع، كانت المعارضة السلبية تلعب دورها بشكل أو آخر. فاقترنت الوصايا الدينية مع الوصاية الحزبية والقبلية للمكون الكردي برفع معدل الإنجاب وإكثار النسل.

ويمكن العودة أيضًا للإحصاءات السكانية لكل مكون لدراسة سباق الإنجاب بين الكتل الكبيرة وضغطها المضاعف على برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية، في زمن كانت الحرب عاملاً مضاعفًا على عاتق الدولة.

الملمح الأبرز في الانفجار السكاني في الشرق الأوسط خلال عقد السبعينيات وما بعده يتمثل بشكل أوضح في قطاع الشباب وانعدام فرص العمل وصعوبة تكاليف العيش. وقد ترتب على ذلك نتيجتان أو ثلاث هي سمات الألفية الجديدة:

١. تفاقم الهجرة للخارج وفي مقدمتها الغرب الأوربي.
٢. أزمة العنف الأهلي والمتمثل في التنظيمات والمليشيات الدينية المسلحة.
٣. تفاقم أزمة العنوسة عند الجنسين، سيما في مصر والشمال الأفريقي.

عندما تنعدم لقمة العيش والاستقرار النفسي والظروف الطبيعية، فإن المسؤول الأول عنها هي العائلة المنتجة للأطفال، من غير حساب أو دراسة تقدر إمكانياتها في إعالة الطفل وتربيته بشكل لائق، بعيدًا عن العشوائية الاجتماعية والشعارات الدينية.

لكن الفرد الذي يجد نفسه داخل علبة دزينة من الأطفال يتنافسون ويتصارعون حول المأكل والملبس والمنام، لا يجد غير الهروب من واقع الأسرة العشوائية إلى الشارع والمجتمع لإشباع حاجاته، وهناك يجد التنظيمات المعادية في انتظاره، أو ينخرط في مافيات الفساد والجريمة.

ويمكن على العموم، الربط بين ظاهرة الانفجار السكاني للسبعينيات وما بعدها وبين انفجار تظاهرات الشباب في أواخر العقد الأول من الألفية الجديدة، من أجل الخبز وفرص العمل والحياة اللائقة.

إن الشعار الرئيس لتظاهرات الخبز والعمل، كان المفروض أن تتجه لإسقاط نظام العائلة العشوائية والعائلة الفاشلة في تخطيط حياتها وتأمين مستقبل أطفالها بدل انتظار حل سحري من حكومة محدودة الإمكانيات والظروف.

وكان لابد أن تتكرر تظاهرات الشباب المصري المرة تلو المرة ويتكرر إسقاط الحكومة تلو الحكومة، في انتظار حكومة لها خاتم سليمان أو مصباح علاء الدين.

النتيجة الأخرى المترتبة على الانفجار السكاني والعشوائيات الاجتماعية هو تفشي الجريمة والفساد والتحلل الخلقي، وهي الأكثر خطورة، وصعوبة على الحل.

إن الفساد الإداري، ليس سبب فساد حاكم أو حكومة أو نظام، إنما هو فساد الموظف الذي هو فرد من عائلة ومن بين أبناء المجتمع. ولا يوجد الفرد الفاسد لوحده، وإنما يوجد ضمن منظومة أو إخطبوط، هي جو الفساد الاجتماعي أو السياسي أو الإداري.

ولم تكن ظاهرة الفساد الإداري عامة قبل الثمانينيات عمومًا. كانت ثمة إجراءات صارمة وعقوبات جزائية تلاحق المرتشين والمفسدين.

كما أن الفساد لا ينحصر في مجال الحكومة، وإنما القطاع الخاص وتجار المفرد. والموظف والتاجر وبائع المفرد له زوجة وأطفال وعلاقات اجتماعية، هي امتداد أو منبع للفساد الشخصي والأخلاقي.

هل يوجد موظف أو مسؤول فاسد في وظيفته، ومخلص في زواجه ووسطه العائلي والاجتماعي؟. للفرد طبيعة واحدة وضمير واحد ومبدأ أخلاقي واحد، هي التي تتحكم في حياته العملية والعائلية والدينية على السواء.

فالفساد والضرر عام ويشمل كل مجال وقطاع، ويسمم كل جوانب الحياة العامة.

علاج كل ذلك يبدأ وينتهي بالعائلة. والعائلة العاجزة عن أداء دورها في تحقيق السلم الاجتماعي والتطور الاجتماعي المدني هي عائلة فاشلة ، لا تنتج غير الضرر العام بالمجتمع.

ويمكن للقانون التدخل ووضع حد للعشوائيات والتهور العائلي والاجتماعي لحماية أمن المجتمع.

أم أن هناك من تنقصه نسبة الفشل والضرر اليوم؟!...

obeikan.com

اليد و الأرض و الماء (•)

الأرض والماء هبة الطبيعة، أما اليد، فهي ملك الإنسان.

يد الإنسان هي التي تروِّض الطبيعة وتكيفها لحاجات الإنسان بدءً من السكن والغذاء والحماية ، إلى متوالية الحاجات المتجددة والمتعددة. فاليد هي رمز الإنتاج والتجديد، وهي رمز دور الإنسان الإيجابي في الطبيعة والوجود.

استغرق الإنسان القديم زمناً طويلاً ليكتشف يده، ويعرف أهميتها، ويتعلم كيف يستخدمها لخدمة الأرض والطبيعة، فيعتني بها ويفلحها ويضيف إليها.

لكن تطور الإنسان ليس متساويًا متكافئاً بين جميع البشر. والأمر هنا يتعلق بالعقل والإرادة والتوفر على الحكمة. ثمة تفاوت في الحضارة من فرد لغيره، ومن جماعة لأخرى، ومن مجتمع لآخر.

ورغم دور عوامل التحفيز الحضاري ونشر المدنية التي بلغت أوجها بين القرنين التاسع عشر والعشرين، فما يزال قطاعات من البشر خارج الحضارة، وخارج المدنية. والأكثر منها خارج الإنتاج والفعل الإيجابي.

بدايات الحضارة تمثلت بالخزن والتدجين والتصنيع اليدوي والرعي وصولاً للزراعة. لكن كثيرين لم يتجاوزوا الرعي، ممن يوصف اليوم بالبداوة، ومن لم يستطع تجاوز الزراعة البسيطة إلى الزراعة الرأسمالية والتصنيع الزراعي. وهذا يعني تفاوت الحضارة ، الذي ينتج تفاوت البيئة الحضارية ، المنعكس بدوره على تفاوت الثقافات وذكاء الأطفال الموجودين في تلك البيئة.

فالجماعة التقليدية بتماديها في الجمود وعدم الانفتاح الحضاري وقبول التنوع والتجدد؛تجني على أطفالها وعلى الأجيال الجديدة المحرومة من الجديد والمفيد.

• اليد والأرض والماء- رواية- ذو النون أيوب

لا ضير أن يتخوف البعض من الغزو الثقافي والحضاري، ولكنها مدعوة في نفس الوقت، لاستخدام الحكمة في قبول النافع والمفيد من الجديد والمختلف. مما يقوي شخصيتها الاجتماعية ويطور بيئتها ومضمار حياتها وينعكس على أجيالها المقبلة.

إن ما ينفع الإنسان ليس القيم والمفاهيم الجامدة ومحاولات التقليد والمبالغة في تقليد حياة الأسلاف وتقديس أفكارهم التي كانت مناسبة لزمنهم فحسب، وإنما ينفعه أن يكون إيجابيًا ؛ ليس في عمل الخير والإحسان والصدقة والزكاة ومساعدة المحتاج والضعيف من قيم اجتماعية جيدة، وإنما أكثر منه أن يكون فردًا إيجابيًا على صعيد إنتاجي، يقلِّل من حياة الإعالة والإتكالية والتكافلية السلبية، وينقل الجماعة، على مستوى القرية أو المدينة أو الحي والمحلة والدولة، إلى حالة أقرب من سد حاجاتها المحلية بالاعتماد على جهدها وإنتاجها الخاص، وبما يقربها من تحقيق الاكتفاء الذاتي، وتجنب الانجرار في لعبة المعونات والمساعدات والقروض التي تحيلها إلى رهينة ذليلة مدينة للخارج.

والغريب، أنه بينما تتخذ بعض البلدان مواقف رافضة من مسألة الغزو الثقافي والتلاقح الحضاري، تسعى بطواعية لاستقبال القروض والمعونات الأجنبية التي تربطها بالعجلة الخلفية للاقتصاد والسياسة الخارجية.

وكان الأجدى الانتفاع من الفكر الحضاري وثقافة الإنتاج لتطوير واقعها المحلي وبيئتها الإنتاجية بما يرفع مستواها الاقتصادي ويحميها من الارتماء المزري في التبعية الاقتصادية والسياسية.